

مقاربة سوسيولوجية لإشكالية العنف في الأحياء الفقيرة في المدينة

د. بولمزاد السعيد

جامعة قسنطينة 2

المختصر

تركز التحليل السوسيولوجي في هذا البحث المركز على واقعة العنف الاجتماعي في الأحياء القصديرية في المدينة والذي فرض نفسه بقوة، خاصة في المناطق الحضرية خلال العشرية الأخيرة، فصار مصدرا للهموم اليومية للأفراد، والجماعات، والمجتمع عامة.

هذه القضية تمت بلورتها بالدراسة والتحليل من خلال ثلاثة مقاربات مختلفة: من خلال: المنظور الخارجي / والرأي الداخلي / والتحليل السوسيولوجي.

وقد تم التوصل إلى إستنتاجين أساسيين:

الأول، وهو أن فعل العنف في الأحياء القصديرية قد عرف تحولا كبيرا بين الأجيال المتعاقبة: في دوافعه، ومثيراته، ومبرراته، وأشكاله، وأدواته، وأهدافه،

والثاني، يقضي بوجوب القيام بإجراءات عاجلة، جدية، وجذرية، لوضع الحلول والعلاجات الملزمة لهذا المشكل الاجتماعي المتفاقم باستمرار.

Abstract

In this short study of city problems, the emphasis has been on the analysis of the fact of violence in shantytown which has imposed itself at a large-scale, more particularly in urban areas during the last few decades as a major concern in the daily life of individuals, communities and society in general.

This issue has been developed by analysing it from three different approaches: the outsider comprehension / the inner view / and the sociological analysis.

The conclusion of this short study resumed:

Firstly, that the act of violence in shantytown has been transformed drastically in its instigations, forms, means, inspirations and goals between the old generations and the new ones.

Secondly, it is suggested that measures, solutions and remedies to this growing social problem must be undertaken urgently, seriously and radically.

مقدمة

مدخل: نحاول في هذا البحث المركز مقارنة حالة الأمراض الاجتماعية في الأحياء القصديرية في المدينة الجزائرية. ولأسباب

ودواعي منهجية تتعلق بحصر الموضوع قصرنا بحثنا على فحص وتشخيص الحالة الأكثر بروزا وشيوعا من بين هذه الأمراض الاجتماعية، ألا وهي واقعة "العنف"، وتشخيص أسبابه المختلفة، وتوصيف الحلول المفترضة لمواجهته ومعالجته.

وفي هذا الإطار وبالرغم من محاولتنا البحث عن التعاريف التي تناولت العنف، في مختلف الأدبيات فإننا لم نلاحظ اختلافا كبيرا بين التعاريف التي عثرنا عليها. إذ لم نعثر في الحقيقة سوى على تعاريف خاصة، أو ناقصة، أو قاصرة، بالرغم من محاولة البعض من أصحابها إصباح طابع التعميم والتجريد عليها.

من ذلك مثلا فإن مفكرا كبيرا مثل "طوماس هوبس"، لم يقل في مؤلفه المشهور: "الليفياطهان" شيئا ذا عمق عن العنف سوى أنه عرفه بأنه: "حرب الجميع ضد الجميع". وهو تعريف عام فضفاض يلزم لإعماده، اللجوء إلى تعريف "الحرب" والتساؤل عن القصد من "الجميع".

لكن آثار انتباهنا من بين التعاريف الأكاديمية المتخصصة والذي (على نقضه) يربط بخيط ما بين أغلب التعاريف، هو تعريف: "هيوغو رادينغ" في قاموسه للعلوم الاجتماعية (أنظر قائمة المراجع). وفيه يعرف العنف على أنه "الممارسة المضرة

للقوة الفيزيائية على الأشخاص أو الممتلكات". ويبقى أن مثل هذه التعاريف وما شاكلها هي دوال مفاهيمية لا تتضمن ولا تغطي واقع مدلول "العنف" في أغلب وجوهه. ومن هذا المنطلق أقدمنا في تعريفنا على شمول كل ما يمكن من جوانب العنف وطبيعته وفاعليه، وأنواعه، وأسبابه وغاياته.

التعريف: "العنف هو الفعل، أو رد الفعل الإنساني: الفردي، أو الجماعي العدواني المبرّر، باستعمال القوة المادية و/أو المعنوية القاهرة المباشرة ضد الذات، أو الغير: أفراد، أو جماعات، أو مؤسسات، أو ممتلكات، أو أشياء، أو مصالح مادية/ أو أفكار، أو معتقدات، أو آراء، أو مبادئ معنوية، بغرض تحقيق أهداف معينة".

ولقد استقينا مادة هذا البحث من سبعة مصادر، هي:

- 1- خلفيتنا السابقة حول الموضوع المبحوث،
- 2- وملاحظة المجتمع القصري،
- 3- والمعاشية أحيانا،
- 4- والأخبار المتواترة،
- 5- والإشراف المتعاقبة على الطلبة خلال سنين طويلة التي تناولت الموضوع بالبحث،
- 6- والقراءات الأكاديمية المختلفة،
- 7- والبحوث التي أجريت في السنوات الماضية منذ أن كنت طالب ليسانس في الجامعة حول الموضوع ذاته.

توصيف الواقع

من بين القضايا الأساسية التي لفتت الانتباه، ليست تلك الأحداث والتطورات التي أفرزتها عملية الاستعمار الفرنسي للجزائر فيما يتعلق بالتهجير وما ترتب عنها من نتائج خطيرة على مستوى الريف والمدينة، لأن ذلك بات من الماضي، إذ أن عدد سكان الجزائر وقتها كان قليلا من جهة، وكانت المدينة الجزائرية صغيرة أو متوسطة، ولم تكن مزدهرة بقدر يدعو إلى القلق، من جهة ثانية، لكن ما أثار الانتباه والقلق، ولا زال، هو التحولات الخطيرة في التركيبة السكانية للمدينة نتيجة الهجرة الاضطرارية التي عرفت الجزائر من الريف إلى المدينة أثناء الثورة التحريرية وبعد الاستقلال. لكن ذلك الحراك الاجتماعي كان مجرد حراك سكاني فيزيقي أدى إلى تحول حتمي سكاني بين الريف والمدينة، ولم يكن تحولا سلوكيا في الأخلاق والمعاملات، ولا في نظرة الفرد الجزائري إلى المجتمع الذي يعيش فيه.

لقد كان الرهان، وكان الهدف أثناء حقبة الاستعمار وأثناء الثورة التحريرية العظمى أن يتخلص الجزائري من الاستعمار، وليكن ما يكون بعد ذلك. واستطاع الجزائري المؤمن بالله وبعروته ووطنه أن يطرد فرنسا، وقد تحقق له ذلك. لكنه في المقابل لم يكن لديه مشروع بديل أو برنامج واضح لحقبة ما بعد الاستقلال، وكانت له ثقة عمياء في قيادته الثورية. فلما فتح عينيه على الاستقلال لم يجد شيئا آخر غير الاشتراكية كمشروع وحيد لا بديل أمامه غيره. وراحت القيادة تعزف أنغام الاشتراكية وراح الجزائري معها يرقص عليها دون وعي بمصدرها، ولا بمعناها، ولا بنتائجها وثمارها.

لكنه ومع بداية الثمانينيات من القرن العشرين بدأت تلك الأنغام على وتر الاشتراكية تخفت وبدأ التحول عنها إلى معزوفة أخرى لم يألفها الجزائري في تاريخه هي الأخرى: معزوفة من الفوضى والعبث، لا هي اشتراكية كما كانت ولا رأسمالية، ولا إسلامية ولا شيء واضح إطلاقا. إن النقلة الاجتماعية التي حدثت في الجزائر منذ الثمانينيات يمكن توصيف ملامحها، لكن لا يمكن بأي عنوان أو اسم عنوانتها وتسميتها سوى بأنها: الفوضى والتخبط والعبث على جميع الأصعدة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية واللغوية. وترتب عن ذلك أن الفرد الجزائري لم يكن ولم يعد قادرا على استيعابها وامتصاصها

وهضمها. وقد انعكس ذلك بعمق على البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري من جهة، وعلى المكونات النفسية للفرد، مما ترتب عنه ردة فعل عنيفة تجاه الواقع الاجتماعي والسياسي الجديد، فانفلت رباط العقد الاجتماعي الطبيعي القديم، وفقد الفرد وخاصة الجيل الجديد المعالم المرجعية التقليدية التي تعود أسلافه اتخاذها معايير مرجعية لضبط سلوكهم، فراح يتخبط بلا هدى، فاقتاد كل معلم يوجهه، رافضا كل القيم والمعايير والأنماط والأطر الدينية والأخلاقية. وقد برز ذلك جليا في الاضطراب والإحباط النفسي للفرد، والضغط والتوتر الاجتماعي في المجتمع، فانعكس صدى ذلك في جميع وجوه ومناحي الحياة الاجتماعية، وفقد الجزائري أهم عامل لاستقراره النفسي والاجتماعي، وهو عامل "الثقة"، واستولى عليه بدلها عامل الشك والريبة: الشك والريبة في الجهاز الحاكم، الشك والريبة في الآخرين، وأسوأ من ذلك الشك وانعدام الثقة في المستقبل، فراح يعيد حساباته في آماله وطموحاته القديمة. فاستلزم منه (والحال هذه) أن يعيد ترتيب أحواله (أفكاره وقناعاته وسلوكاته) وفقا لما يفرضه عليه الوضع الاجتماعي والنفسي الجديد لضمان بقاءه واستمراره. وانتقل المجتمع والفرد بذلك من حالة اجتماعية متوازنة نسبيا قائمة على الثقة والوئام والتعاون وفقا للتقاليد الموروثة (بعد حالة الصراع مع الاستعمار)، إلى حالة اجتماعية جديدة غريبة طارئة شاذة قائمة على الصراع المفعم بالشك والريبة والتدبدب، وهو ما أفرز واقعا اجتماعيا وفرديا برزت حدته بشكل أوضح في مجتمع المدينة، وتمثلت في مظاهر إنحرافية متعددة ومتشابهة:

1- من تزايد سكاني رهيب على مستوى المدينة، لا من ناحية المواليد فحسب، بل أسوأ من ذلك من ناحية النزوح الريفي. هذا على مستوى السكان،

2- وتريف المدينة وقصد رتقا بالأحياء القصديرية على مستوى السكن.

لكن هذه النظرة تعد نظرة مادية ضيقة قاصرة، حيث لا تتناول الواقع المعتل للمدينة سوى من خلال الواقع المادي: كعدم توفير المرافق والمنشآت القاعدية الضرورية للمواطن الحضري: من سكن، ومدرسة، ومستشفى، وشغل، ومرافق استجمام وترفيه، وما إلى ذلك. وقد أثبتت هذه السياسة الترفيعية ذات المنطلقات الاشتراكية الماركسية الرأسمالية، التي آلفت على الدوام توصيف الواقع توصيفا ماديا، وتحتزل الإنسان إلى مجرد حيوان يعيش ليأكل، بل يعيش ليعيش، جاهلة أو متجاهلة الإنسان ذاته كقيمة بشرية ترتفع فوق المكاسب والمصالح الشخصية المادية الضيقة (رغم ما لهذه المصالح من أثر إيجابي بوصفها عامل يساعد على الاستقرار النفسي والاجتماعي للفرد والمجتمع). لكن في جميع الأحوال يبقى الإنسان هو الأساس والمحور الذي تدور حوله الحياة الإنسانية بمصالحها ومبادئها: الإنسان في تكوينه، وتعليمه، وتربيته. لكن في الجزائر حدث العكس، إذ علموا الإنسان المطالبة بالحقوق، ولم يعلموه القيام بالواجبات.

ومع أن الجزائري صار مذعورا أمام عمليات العنف والأمن المتفاقمين يوما بعد يوم والتي باتت هاجسا لكل جزائري يعيش في المدينة، إلا أنه ورغم الجرععات المسكنة الارتجالية المؤقتة التي راحت توصفها السياسات المتبعة، من وعود فارغة أو لمسات شكلية، فإن هذه السياسات الترفيعية ذاتها لا تعدو أن تكون سوى ردود أفعال ارتجالية فاقدة لكل استمرارية أو إستراتيجية مبرمجة كسياسة تشغيل الشباب، وسياسة الأونساج، وغيرها التي تعد محدودة ومؤقتة وسطحية مرتجلة من الناحية الكمية، ولا تمثل سياسة علاجية حقيقية جذرية ودائمة من الناحية النوعية. فهي لا تقدم المشاكل المتفاقمة للشباب حولا فعالية بقدر ما توهمهم بتلك الحلول.

إن تناول معضلة المدينة يقتضي مقارنتها من جانبين مزدوجين:

1- مجاليا: من جانب الفرد والأسرة ككيان اجتماعي خاص / ومن جانب المدينة والحي ككيان اجتماعي عام،

2- ومضمونياً: من الجانب المادي، بدراسة الحاجيات المادية للفرد والأسرة، والمدينة، من تشغيل، وسكن، وعناية صحية، وترقية للأحياء، وما إلى ذلك / وأهم من ذلك من الجانب المعنوي للفرد والأسرة والمدينة كقيمة إنسانية.

ولقد كثر اللغط حول مشاكل المدينة وعلاقتها بالعنف الفردي والجماعي، ورغم محاولتنا فإننا لم نثر على دراسة علمية حقيقية عميقة تفحص وتشخص وتعالج مشكلة المدينة الجزائرية في شتى أبعادها، ومن مختلف جوانبها، إلا بعض المحاولات الاختزالية التي عملت على تحجيم مشاكل الإنسان فرداً وجماعة بتقديمها على أنها مجرد أسباب مادية تتعلق بظروف المعيشة، وكأن المهم الوحيد في حياة الإنسان هو الحصول على الاحتياجات المادية، من مأوى، ومأكل، وملبس وما إلى ذلك. هذه النظرة المادية الحسية التسطيحية التبسيطية التي تختزل الإنسان إلى مجرد "حيوان عالف" وجدت صداها لدى أصناف معينة من الناس في الواقع الاجتماعي للمدينة فبات كل واحد من هؤلاء همه الأوحده في الحياة اللهث وراء تلبية المزيد من أطماعه التي لا حد لها وبأية طريقة كانت.

أسباب العنف

إن الفهم الحقيقي لواقع العنف في المناطق الحضرية يرتبط أساساً بالقدرة على فهم طبيعة، ونوع، وسياسة عمليات ونتائج التمدن ذاتها. ويظهر أن هناك قصور فادح من طرف علماء الاجتماع في مقارنة واقع العنف في المدينة. وهو أنه إذ لم يعط له الاهتمام المطلوب: بالفهم العمق وبالحلول الجذرية، فإن مقارنة العنف في المدينة من الناحية النوعية سيقى حبيس تلك المقاربات الاختزالية التي راحت تصف واقع العنف في الأحياء القصديرية للمدينة على أنها نتيجة للظروف المادية. وهو تفسير مادي ماركسي رأسمالي تجاوز الزمن خاصة في الظروف التاريخية والاجتماعية التي يوجد عليها المجتمع الإسلامي، ومنه المجتمع الجزائري.

إن مشكلة المدينة، ومشكلة العنف، ومختلف السلوكات الجائحة لا يمكن، بأي تفسير كان إرجاعها واختزالها في مجرد الأسباب المادية الشخصية. فقد كان الشعب الجزائري في حال أسوأ بكثير من حيث الظروف المادية إبان الحقبة الاستعمارية، ولكنه لم يكن يمارس العنف على نطاق واسع وبشتى الأشكال ضد أخيه الجزائري كما هو واقع اليوم. وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن هناك أسباب أخرى عميقة تتعلق بالإنسان الجزائري ذاته، لا بما يكسب ويحوز ويملك: من شغل وسكن وسيارة وما إلى ذلك.

إن التضحيات الجسام التي قدمها الشعب الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية، والتي كان يطمح من ورائها تحقيق آماله وطموحات في الاستقلال والحرية، لم تتم حقيقة. لأن تحقيق الاستقلال والحرية لا يعني شيئاً آخر غير تحقيق الهوية الذاتية المتميزة:

1- النابعة من رصيد التاريخ،

2- المجسدة في واقع الاستقلال والحرية،

3- المتطلعة لتحقيق طموحات المستقبل.

والمعتمدة في كل ذلك على ما لديها من لغة ودين، وثقافة، دون استيراد بدائل تحل محلها، أو تنافسها. ولكن الذي حدث أنه بعد إخراج فرنسا أفرغ الاستقلال والحرية من محتوئها (وهو الهوية). فأبقى على اللغة الاستعمارية كبديل للغة العربية، واستبدل الإسلام بالاشتراكية حيث أعتمدت سياسة رسمية للدولة وحوّل الإسلام إلى مجرد طقوس عبادة شخصية داخل المنازل والمصليات، مما أدى إلى إبقاء الجزائر رهينة الهيمنة الاستعمارية القديمة بإملاءاتها الجديدة. وهو ما جعل الجزائر في وضعية غريبة أبقتها في عنق الزجاجة: لا هي داخل الوجاجة الاستعمارية، ولا هي خارجها. ولعمري أن ذلك لأسوأ الأوضاع

التي يمكن أن يكون عليها مجتمع من المجتمعات، أو أمة من الأمم. إن الإنسان الجزائري عامة، وإنسان المدينة خاصة، وقاطن الحي القصديري بالأخص ليجد ذاته، والحالة العامة هذه، يعيش حالة إغتراب اجتماعي فضيع يصاب من جرائه "بفصام اجتماعي" يعيشه في هويته: في ازدواجية لغته، وتهميش دينه، وضرب ثقافته، والتشكيك في أصالته.

وترتب عن ذلك حالة من فقدان الثقة في محيطه الاجتماعي والسياسي من جهة، وفقدان المعيار الاجتماعي المرجعي الذي يرجع إليه لوزن وتقويم سلوكاته، وكانت النتيجة ردود أفعال سلوكية مختلفة فوضوية متدبدة، لا تخضع لأي معيار اجتماعي مرجعي، أهمها: التمرکز حول الذات بالنظر إلى ذاته على أنه محور كل ما حوله. وفي سبيل ذلك أباح لنفسه كل شيء، فراح يمارس العنف، والسرقة، والاختلاس، والنهب، وتبديد الأموال العامة، وممارسة التهريب، والمخدرات وتحطيم المرافق العامة، والاستيلاء على المال العام والخاص، من أموال، وعقار وما إلى ذلك، والهروب من أرض الوطن بكل الطرق الممكنة، وهو ضرب من ضروب رفض المجتمع من جهة، وممارسة العنف على الذات من جهة أخرى.

ومن بين الأخطاء التي يقع فيها الباحث في أمر المدينة الجزائرية هو الفكرة المسبقة التي صنعتها الأخبار الرائجة حول المدينة، والتي تصفها وكأنها الرجل المريض مرضا مزمنًا، فيأتي الباحث إليها وفي رأسه هذه الصورة المسبقة.

وهنا يمكننا مقارنة تفسير واقعة العنف في الحي القصديري للمدينة من ثلاث زوايا مختلفة:

أولاً: المنظور الخارجي لمشكل العنف في المدينة: يعد هذا التفسير على عاميته وبساطته أكثر التفسيرات عفوية، فهو يُرجع أسباب بروز العنف في الأحياء القصديرية في المدينة إلى تدفق المهجرات من الريف إلى المدينة، وأن العنف الحادث ليس إلا تعبيرا عن الصراع الدائر بين أهل المدينة القدماء، وبين القادمين الجدد، النازحين من الأرياف. وهذا الصراع ليس صراع تضارب مصالح ومعاملات مادية حول فرص العمل وما إلى ذلك فحسب، إنما هو كذلك صراع قيم وسلوكات معنوية من عادات وتقاليد وأعراف ومعايير وأخلاق وما إلى ذلك، والناتج عن صدمة ثقافية للريفيين النازحين الراضين لطريقة الحياة الحضرية في المدينة، فكان رد الفعل الراض من قبلهم لطريقة الحياة تلك والذي يتجسد في سلوكهم العنيف الذي يشعل فتيل الصراع بينهم وبين أهل المدينة الأهليين.

فلم يكن هؤلاء الريفيين الذين عاشوا في طلاقه وعفوية محضين للعيش ضمن المجال المحدود للمدينة وعلاقاتها المتطورة وتفاعلاتها الصارمة. فكثيرا من هؤلاء الريفيين لم ينتقلوا إلى المدينة إلا في السنوات الأخيرة، ولم يكونوا مؤهلين ولا قادرين على الإيفاء بشروط الحياة العصرية في المدينة. ولكن لا يمكن تحميل هؤلاء النازحين وحدهم فشل التكيف في المدينة، بل إن المدينة الجزائرية ذاتها لم تعد قادرة على امتصاص القادمين إليها كما كانت إبان الاستقلال. ويُرجع التفسير العامي للعنف في المدينة، أسبابه إلى القادمين الجدد في الأحياء القصديرية الذين لم يتمكنوا بسرعة من امتصاص الصدمة التي تعرضوا لها بعد دخولهم فجأة في مجتمع المدينة الذي يتسم بسماة اجتماعية يعتبرها القادمون الجدد غير أخلاقية، وتتعارض مع ما ألفوه في الريف، ومن ثم لم يستطيعوا التكيف اجتماعيا مع مجتمع المدينة فباتوا يشعرون بالخيبة، وهي العملية الاجتماعية التي تتطلب وقتا طويلا نسبيا، وتضحية كبيرة، من قبل الوافدين، بكثير من عاداتهم وتقاليدهم وسلوكاتهم، واستبدالها بعادات وتقاليد وسلوكات اجتماعية حضرية جديدة، وهو ما يرفضه بعض الوافدين في المراحل الأولى من تواجدهم في مجتمع المدينة، وهذا هو بالذات ما يؤدي إلى ردود الأفعال العشوائية من قبلهم تجاه مجتمع المدينة محملين، دون وعي، المحيط الاجتماعي حوهم الوضع المتردي في المدينة حسب تقديرهم، فيكون العنف العشوائي بذلك هو ردة فعلهم الدال على عجزهم على التكيف والتأقلم والوثام الاجتماعي. فهذا التفسير العامي إذن يلقي تبعة العنف على الريفيين القادمين الجدد إلى المدينة وحدهم وترثته السكان الأهليين.

وبينما تلقي التفسيرات العامة لحالة العنف في المدينة رواجاً وتقبلاً لدى الشارع في المدينة، فإن هناك تفسير عامي آخر يضاف إليه وهو الذي يُرجع حوادث العنف إلى جماعات نافذة تدفع بعناصر شباب الأحياء القصدية إلى الشارع لتحريض على العنف، ودفع أموال للشباب العاطل مقابل ذلك. وتفعل هذه الجماعات ذلك عندما تشعر بتهديد ما لمصالحها، أو بدافع تحقيق مكاسب جديدة، أو حتى لأسباب سياسية، وهذا ما يطلقون عليه علماء اجتماع المدينة في الغرب "نظرية الريفراف RIFFRAFF theory" أو "نظرية الرعاع". ويحتمل أن كلمة "ريفراف" تحوير لكلمة "رعاع" العربية، وتعني: "الدهماء"، وهي جماعة الناس السوقيين الذين يستجيبون عفويا وعشوائيا لكل صائح يصيح عليها، وهي مستعدة في كل وقت للقيام بالفوضى وتحطيم وحرق كل ما يعترضها دون تردد ولا حساب، ويتشكلون من الصعاليك واللصوص، والمشردين والحشاشين، والشواذ، والجرمين وذوو السوابق، وكل الأشكال الأخرى من الحثالات البشرية المهمشة التي عفى عنها الزمن. لكن هذا لا يعني أن هذه الشريحة هي وحدها التي تقوم بأعمال العنف في الأحياء القصدية، بل يضاف إليها كذلك شريحة المراهقين، والشباب البطال، والمعوزين وغيرهم. هؤلاء عامة هم الشرائح الاجتماعية والعناصر الفاعلة لحوادث العنف في الأحياء الفقيرة في المدينة الجزائرية حسب التفسير العامي لواقعة العنف في الأحياء القصدية للمدينة. لكن ما يمكن ملاحظته من أعمال العنف التي يقوم بها هؤلاء هو أنها تتسم عامة بسبعة سمات أساسية، وهي:

- 1- أنها غالبا عفوية، وغير محضرة قبلا،
 - 2- وأن أسبابها متنوعة ومتعددة،
 - 3- وأن أهدافها شخصية على العموم ويكتسبها الغموض والعمومية،
 - 4- وأن غلبتها عرضي مؤقت،
 - 5- وأن القائمين بها هم حشد أو جمهرة، وليست جماعة اجتماعية بالمعنى السوسيولوجي للجماعة،
 - 6- وأن أفعالها لا عقلانية تطبعها الميول والعواطف، مما يجعلها ردود أفعال شبه غريزية فوضوية وغير منظمة،
 - 7- وأنها غالبا ما تفتقد إلى قائد واحد بارز يقودها،
- لكن الرأي المجمع عليه حسب هذا التفسير، هو أن الجميع (بعد حدوث أعمال العنف) يُرجع العناصر المحرزة على العنف إلى جهات خارجية عن المشاركين فيها، وأن هؤلاء المشاركين الفاعلين للعنف هم مجرد أدوات مستخدمة في يد المحرضين الغريباء. وهذه وجهة نظر أخرى لتفسير أسباب العنف في الأحياء الفقيرة في المدينة.
- لكن يبقى أن كثيرا من أبحاث الطلاب الذين تناولوا في بحوثهم عن الأحياء القصدية في المدينة أجمعت على أن الشباب القاطنين القدماء في الأحياء القصدية يعدون من المتعودين على المشاركة في أعمال العنف:
- 1- سواء داخل الأحياء القصدية ذاتها،
 - 2- أو خارجها في الأحياء الأخرى للمدينة.
- وأن هؤلاء كذلك بحكم وضعهم اليائس هم من أكثر أهل المدينة استعدادا لممارسة العنف والتخريب، والحرق وما إلى ذلك. وآخر دراسة أجريت على المساجين في دور إعادة التربية بقسنطينة وعين مليلة (راجع المرجع 1 هنا) أظهرت أن نسبة عالية من الذين أدخلوا السجن بسبب مشاركتهم في العنف الفردي والجماعي هم من قدماء الأحياء القصدية. وهو ما يعزز الاعتقاد بأنه يتطلب العيش مدة طويلة نسبيا ضمن هذه الأحياء القصدية ليتربى في الفرد الميل النفسي إلى السلوك العنيف. وهو ما يعني أن الاستعداد للسلوك العنيف سببه الفشل الفردي، والإحباط الاجتماعي الذي تتراكم عوامله مع مرور الوقت أثناء العيش داخل الحي القصدية.

وحسب علمنا ومعايشتنا لواقع المدينة فإنه لا يوجد، في أغلب الحالات، أي دليل على أن العنف الفردي والجماعي خاصة في الأحياء القصديرية في المدينة:

- 1- يحمل طابعا إيديولوجيا
- 2- أو وراءه مؤامرة،
- 3- أو تدفعه أيادي خارجية أجنبية عنه،
- 4- أو أنه فعل منضبط محضر ومخطط مبرمج ومنظم، مسبقا،
- 5- أو أنه سياسي مقصود،
- 6- أو أن كل، أو أغلب الذين يقدمون على إحداث العنف في الأحياء القصديرية هم مجرمون محترفون أو متعودون على الإجرام، لكن ذلك لا ينفي مشاركة بعض المجرمين عفويا في حوادث العنف الجماعي داخل الأحياء القصديرية،
- 7- أو أن المشاركين في العنف الجماعي في هذه الأحياء يمثلون شريحة معينة تتميز عن باقي سكان الحي القصديري ككل. ومن الأسباب التي يمكن أن تكون وراء أعمال العنف الفردي والجماعي في الأحياء القصديرية:

خمسة عوامل أساسية، هي:

- 1- اختلال الدور الأسري،
- 2- وفساد المحيط الاجتماعي وضغوطه، وعدم التكيف معه،
- 3- والمثيرات الإعلامية العنيفة،
- 4- وضعف وظيفة المدرسة،
- 5- وجمود الخطاب الديني في المسجد،

وهذه أيضا وجهة نظر أخرى من التفسيرات العامة لواقعة العنف في الأحياء القصديرية وهو تفسير عامي مقبول لكنه لا يوجد تفسير عامي واحد يجمع بين هذه الأسباب معا، بل كل يذكرها منفصلة.

ثانيا: الفهم الداخلي لمشكل العنف في المدينة:

ثم إنه ورغم ما أعطي من تفسيرات عامة أو علمية لواقعة العنف في الأحياء القصديرية في المدينة، إلا أنه لا يمكن التقليل من أهمية التفسير الداخلي للموضوع المبحوث ذاته، فهو له رأيه ووجهة نظره، وتفسيره الخاص المعبر عن سلوكه العنيف. فهو ذاته المعني بالبحث. وفي هذا المجال هناك مقاربتان يتبناها أهل الحي القصديري في المدينة وينظرون إليهما كعاملين محركين للعنف في أحيائهم، وهما:

"الجيل القصديري الجديد" / و "الثقافة القصديرية":

- 1- فأما عن الجيل القصديري الجديد: فهو ذلك الجيل الذي ولد وترعرع في الأحياء القصديرية، والذي لم يعرف في حياته الاجتماعية حالة أخرى مخالفة، ما عدا ما يلاحظه بالعين المجردة في الأحياء المختلفة الراقية في المدينة. وهو بذلك لا يحمل نفس الإدراك والشعور للواقع المعاش ولل فروق الموجودة بين حالته في الحي القصديري، وبين الوضع المعيشي في الأحياء المختلفة للمدينة. وحاله هنا كحال من ترعرع قرب مستنقع فتعود على لسع البعوض، ولم يكن ليعرف حقيقة حياة أخرى بعيدا عن لسعات البعوض، حتى وإن كان يلاحظ أو يسمع عن ذلك الاختلاف، لكن مقابل ذلك فإن الجيل القصديري الجديد لم يعد، نظرا لدخول عوامل طارئة جديدة على حياته كوسائل الإعلام الجديدة، وتغير نمط المحيط حول حيه، وغير ذلك، لم يعد يمارس العنف فقط من أجل تغيير حياته، لأن حياته تلك لم يتعود عليها أو يألفها كآبائه، لأنه ولد وترعرع

فيها، بل أن تفكيره بات مدبداً، وسلوكه صار مضطرباً، ولم يعد يمارس العنف من أجل نفسه، ضد الآخرين فحسب، بل أنه بات يمارس العنف ضد الآخرين ومن أجل الآخرين كذلك. بل لم يعد يغبط الآخرين في الأحياء الأخرى الراقية في المدينة، بل بات ييغضهم ويحملهم أسباب كل مصائبه، إذ أضحت المظاهر الخداعة للحياة الغربية سبباً قوياً لإغرائه، فتعدت بذلك الأسباب التي تحملها على العنف، حيه، ومدينته، وبلده، وتحول بذلك مفهوم العنف في الأحياء القصديرية من مشكلة داخلية تتعلق بمشكلة الحي ذاته، إلى مشكلة خارجية تمس المجتمع بأكمله، بل صارت مشكلة عامة من مشكلة أعم، تتجسد في السرقة والتخطيط والاعتداء والمخدرات، والعزوف عن الدراسة، وما إلى ذلك. باختصار فإن مشكلة الحي القصديري لم تعد مشكلة قصديرية ضيقة محصورة، بل تعدته لتصير مشكلة وطنية تمس الجميع من قريب، أو بعيد.

2- وأما عن الثقافة القصديرية: فهي ذلك النمط الاجتماعي من الحياة الذي تأسس، وهي حالة اجتماعية شاذة داخل الحي القصديري، فإنها تعني تلك الحالة الاجتماعية من العيش آلفها الفرد (والجماعة كذلك) وتعود عليها مع مرور الوقت فشكّلت ونمّطت وقوّلت تفكيره وسلوكه الاجتماعي، فصار رهينة لها، يعيش تحت وطأتها ويقيس عليها أفكاره وأقواله وأفعاله، بل لم تعد حاجساً أو كابوساً يعيش عليه في كل لحظة وموقف فحسب، بل فوق ذلك جعل منها معياراً مرجعياً لكل ما سواها، من أفعاله وسلوكاته الاجتماعية مع الآخرين، والعالم حوله. إن تلك الثقافة باتت فلسفته التي قولبت شخصيته مع نفسه وسلوكه مع الآخرين. فهو بعد أن ينس من تغيير نمط حياته، أو تغيير وضعه المزري، فرضت تلك الحالة نفسها كثقافة، فصارت وكأنها قناعته ومصيره وقدره المحتوم الذي لا مناص ولا إمكانية للإفلات منه. وكأنه ما وجد إلا ليكون ويعيش قصديرياً، وكأنه يقول: "بما أنني قصديري فأنا موجود". هذه الثقافة، وإذ هي حملته على قبول الذات القصديرية، فإنها في مقابل ذلك بثت فيه روح الريب والبغض والرفض للآخر: الآخر الالاقصديري. وهذا هو الوجه الآخر للثقافة القصديرية، التي لم تعد تثور على الوضع القصديري القائم بقدر ما تثور لممارسة العنف ضد الآخر الالاقصديري الذي يرى فيه سبباً مباشراً لما هو عليه.

ثالثاً: التحليل السوسيولوجي لمشكل العنف في المدينة:

إن الآراء والدراسات السوسيولوجية التي قامت بتناول العنف الفردي والجماعي عامة، والعنف في المدينة خاصة تدخل عادة ضمن "النظرية السلوكية" التي تعد "نظرية السلوك الجماعي" إحدى فروعها وتخصصاتها، ومن الذين نظروا للسلوك الجماعي، عالم الاجتماع نايل سميلسر Neil J. Smelser في الولايات المتحدة الذي تطرق إلى أسباب، ومنابع، ومراحل تطور السلوك الجماعي، بما في ذلك "العنف الجماعي"، وهو ضرب من "السلوك الجماعي"، وهي كلها تدخل ضمن نظرية أوسع وهي "نظرية الفعل الجماعي". وأهم المفاهيم المستخدمة في هذه النظرية، هي مفاهيم:

- 1- "الضغط: الضغط الجماعي، والضغط الاجتماعي"،
- 2- و"التوتر: التوتر الجماعي، والتوتر الاجتماعي"،
- 3- و"العنف: العنف الجماعي، والعنف الاجتماعي"،
- 4- التمدن urbanisation: وهو الانتقال من حالة البداوة، أو الحالة الريفية إلى حالة التحضر نتيجة الحراك الاجتماعي (الهجرة، النزوح، اللجوء، النفي) من الريف إلى المدينة قسراً أو اختياراً، والإقامة الدائمة فيها.
- 5- الترييف Ruralisation: وهو عكس المفهوم السابق، ويعني ترييف المدينة الذي لا يعني انتقال الأفراد من الريف إلى المدينة، بل يعني انتقال مجتمع الريف إلى المدينة، بما يحمله من نظام اجتماعي ريفي والاستمرار نسبياً في محاولة العيش وفق الأنماط الاجتماعية الريفية في المدينة.
- 6- القصدة: Townshanting: وهي قصدة المدينة أو التكويع، (من الكوخ)، أي تكويخ المدينة.

هذه المفاهيم الأساسية المستخدمة في علم الاجتماع المدينة عامة. ويبقى أنه من الأسباب المحتملة التي تؤدي إلى العنف الفردي والجماعي: في المدينة، وهي:

- 1- الضغوط الاجتماعية: من عدم القدرة على التكيف الاجتماعي، والظلم الاجتماعي، والتمييز، وما إلى ذلك،
 - 2- الضغوط الاقتصادية: من بطالة، وفقر وسوء السكن أو ضيقه إلى غير ذلك،
 - 3- الضغوط الأسرية: كثرة الأولاد، إلخ...
 - 4- الضغوط الثقافية: اختلاف العادات والتقاليد والقيم وو...
 - 5- الظروف السياسية: فقدان الثقة في الحاكم جراء الفساد السياسي والمالي، وسوء التسيير، والرشوة، والقهر، وضعف الحريات المدنية وما إلى ذلك،
 - 6- الظروف الأخلاقية: وهي أن يجد الفرد نفسه وأسرته في محيط أخلاقي فاسد يفقده الراحة النفسية،
 - 7- الظروف النفسية: الناجمة عن فقدان الأمن والسلم والهناء والرضا النفسي.
- ثم أن "النزوح" من الريف إلى المدينة هو أقرب إلى "اللجوء" منه إلى "الهجرة". والنازح كالأجنبي، فهو في "المنزح" أي في مجتمع النزوح في المدينة تجده أكثر عرضة وأسهل توجيهها وتحكما واستغلالا في تسخيرها لأداء الأدوار العنيفة، من السكان الأصليين في مجتمع المدينة.
- إن الاستعداد والاستجابة للعنف تجده أعلى مستوى بين الأفراد النازحين الجدد الذين يتوفرون على أقل مستوى من التكيف الاجتماعي، والتفاعل الاجتماعي، والتعلق الاجتماعي داخل مجتمع المدينة، منه بين أولئك الأفراد الأصليين المقيمين العاديين.

ويُعرّف الشخص الذي يتعرض للتوترات والضغوط الاجتماعية الحادة والتي تدفعه إلى القيام بردود أفعال عنيفة بالشخص "المهمش". ذلك لأنه غير محمي بما يكفي من قبل المحيط الاجتماعي الذي يجنبه التأثيرات الجانحة فيلجأ للعيش على هامشه. فهو قابل للوقوع ضحية تأثير القوى الاجتماعية المنحرفة التي تغريه وتدفعه إلى القيام بشتى الأفعال المضادة، ومنها العنف. ومن هذا المنظور فإن أحد أكبر المصادر الضاغطة التي يمكن أن يتعرض لها فرد من الأفراد هو عملية التغيير الاجتماعي المفاجئ، كحالة النفي القسري أو اللجوء المباغت، أو الهجرة الاضطرارية، أو مثل حالة الطوارئ التي تؤدي إلى الانتقال الفجائي لأشخاص من بيئة ريفية، وزرعهم زرعاً داخل مجتمع المدينة. وفي الواقع فإن كثيراً من التفسيرات السوسيولوجية التي تناولت تنامي عمليات العنف الفردي والجماعي في المدينة ترجع أسبابها الرئيسية إلى عملية التمدين السريع والاضطراري، مما يحيل بعض أحياء المدينة إلى شبه محتشدات تقترب وتشارك في كثير من سماتها مع محتشدات اللاجئين.

إنه وفي عالم المدينة الغريب واللاشخصي، فإن الريفي الطارئ عليها يعتقد أنه يتعرض لتيار جارف من الشعور بالاغتراب يولد فيه حالة حادة من الإحباط، وهو ما يدفعه إلى القيام بردود أفعال غير سوية، أبرزها الإقدام على ممارسة العنف تجاه المحيط الجديد حوله.

ومن التفسيرات التي يمكن تقديمها لتوضيح ظاهرة العنف في الأحياء القصديرية في المدينة كذلك هو "حالة الاغتراب الاجتماعي" التي يعيشها "المقصدر" (أي قاطن الحي القصديري في المدينة).

وبالرغم من أن توظيف مفهوم "الاغتراب" للتدليل على حالة اغتراب العمال عن المنتج الاقتصادي الذي ينتجونه قد استخدم من قبل كارل ماركس في القرن 19، إلا أن استعمال مفهوم "الاغتراب الاجتماعي" هو مفهوم للتدليل على حالة "الغربة الاجتماعية" التي يعيشها فرد ضمن جماعة، أو جماعة ضمن محيط اجتماعي، أو أقلية جماعية ضمن أكثرية تختلف

عنها في أسلوب حياتها، وقيمها ومعتقداتها وعاداتها، وتقاليدها، كالأقلية المسلمة في الغرب، أو الأقلية المسيحية في الشرق، أو الأقلية البيضاء في جنوب إفريقيا، والأمثلة كثيرة. فالاغتراب الاجتماعي، إذن هو: أن يلزمك شعور دائم بالغربة داخل البيئة الاجتماعية التي تعيش ضمنها من جراء اعتبار نفسك حلقة غريبة أو مختلفة على الأقل في سلسلة، أو شعرة شيئا في الرأس، أو تيسا بين الكباش. إن الشخص (أو الجماعة) المغترب اجتماعيا هو شخص منفصم عن الآخرين يشعر باختلاف دائم وبتمايز مزمن ضمن المحيط الاجتماعي الغالب الذي يعيش ضمنه، لا يستطيع التحكم أو التصرف ضمنه في الأحداث الاجتماعية حوله. هذا الشعور بالانفصال والتمايز يري فيه إحساس دائم مزمن وعميق بالرفض والسخط، يجسده في ردود أفعال من الإفصاحات القولية والتعابير الفعلية العنيفة. وهكذا يتولد العنف لدى الأفراد والجماعات في الأحياء القصدية التي يشعر أصحابها بالاغتراب الاجتماعي ضمن المحيط الاجتماعي العام للمدينة.

ولكن لا يمكن الجزم بأن الاغتراب هو وحده العامل المسبب للفعل العنيف من قبل الأفراد والجماعات في الأحياء القصدية، بل أن عوامل مسببة أخرى يغلب الافتراض على أن لها نصيب في تسبب العنف، ومنها الحرمان بجانبه:

1- المادي الذي يمثله التناقض والفرق بين الحاجات المرادة، وبين النتائج المحصّلة،

2- والمعنوي الذي يمثله التناقض والفرق، كذلك بين الطموحات المرجوة، وبين الأهداف المحققة. وهذان يمثلان عاملان هامين مسببان للعنف في الحي القصدية في المدينة.

والمعادلة هي أنه "كلما كان الفرق والتناقض أوسع وأكبر، كلما كان الرفض والسخط أعمق وأشد".

الحلول

إن الربط بين واقع مشاكل المدينة ومشاكل العنف الفردي والجماعي يظهر مدى ضعف التوصيفات السطحية المقدمة، والحلول الترقيعية المطروحة.

إن المدينة، التي يتمركز فيها أكبر تجمع من الناس، هي البؤرة المثالية لظهور المشاكل الاجتماعية الجماعية والفردية المختلفة، خاصة بين فئة الشباب الذين راحوا ينظرون بعين إلى الماضي فيروا البطولات الكبرى والتضحيات الجسام التي قدمها الآباء والأجداد من أجلهم، ثم ينظرون إلى الواقع المزري الذي آلت إليه حالتهم، بينما فئة قليلة من الموردين والتجار والمقاولين النافذين يسرقون المال العام، وينهبون مال الأمة ويمكّنون لكل من هب ودب من أشباه الشركات الأجنبية بنهب ثروات البلاد على مرأى ومسمع منهم.

كيف لا يشعرون بالإحباط والانكسار فيفضلون المغامرة في قوارب الموت إلى إيطاليا وإسبانيا، على البقاء والعيش في ظل هذا الوضع المحجف.

1- إن أول شرط لحل مشاكل العنف الفردي والجماعي في المدينة هو "بناء الثقة بين الحاكم والمحكوم".

2- وبناء الثقة هذه لا يمكن أن يتحقق إلا بنهج سياسة وطنية صارمة:

أ. تعطى للإنسان قيمته الحقيقية،

ب. وتعطى الأولوية والعلوية للعلم والبحث العلمي الجاد المخطط الواعي المبرمج المحادف، وجعل العلم هو المعيار الوحيد

لتقلد المسؤوليات. ولا مرجعية أخرى لإسناد المسؤوليات: فلا مرجعية ثورية، ولا مرجعية للمال، ولا مرجعية للجهوية والمحابذة والمعارف الخاصة، ولا مرجعية أخرى لغير العلم والكفاءة، والنزاهة والإبداع.

ج. وتضمن العمل وجعله السبب الوحيد للثروة.

د. وإقامة العدل بصرامة بين الجميع.

ن. وتسطير سياسة واضحة للتنمية تقوم على الصناعة والزراعة أساسا، لا على الخدمات والتجارة. هـ. إثبات الهوية العربية الإسلامية للجزائر، والقضاء على التخبط الثقافي واللغوي الذي فرضتها عصابات مخلفات الاستعمار الفرنسي والتي فرضت على التلميذ الجزائري تعلم اللغة الاستعمارية بحجة أنها لغة تقدم. والجزائر بعد أكثر من 50 سنة من الاستقلال المزعوم هي اليوم أكثر تخلفا من أي وقت مضى بسبب المشروع الإحباطي الذي راحته تفرضه هذه العصابات النافذة في الحكم وبسبب هذه اللغة الاستعمارية الميتة التي تجاوزها الزمن وانتهت صلاحيتها، و مثال على ذلك حصة المحروقات سنة 1962 كانت تشكل 92 من المائة من صادرات الجزائر، أما اليوم فهي تشكل 98 من المائة من هذه الصادرات. فماذا قدمت اللغة الفرنسية وماذا ساهمت في تقدم الجزائر. والجزائر اليوم لا تصنع حتى إبرة الخياطة وتستوردها من الصين. وبسبب تسلط هذه العصابات على مقاليد الحكم في الجزائر بقيت الجزائر عالقة في عنق الزجاجة، فلا هي بقيت داخل زجاجة الاستعمار، ولا هي خرجت منها لتتحرر. مما جعل الجزائري يعيش أزمة هوية حقيقية أفقدته الشعور بالولاء وروح الانتماء لهذا الوطن، مما ترتب عنه ردود أفعال راح يعبر عنها بشق الأفعال:

1. من اللامبالاة وعدم الاهتمام بالذين يحكمونه
2. أو القيام بأفعال عنيفة فردية أو جماعية تجاه الطرف الآخر بالسرقة والنهب والقتل والاعتصاب وما إلى ذلك.
3. أو الهروب أو محاولة الهروب إلى الخارج بشق الطرق التي أسوأها المغامرة في قوارب الموت في البحر المتوسط
4. وأسوأ رد فعل له هو التمرکز حول ذاته، والنظر إلى نفسه باعتباره المركز الذي يدور العالم حوله. مما جعله يسلك سلوكات أنانية مفرطة تجاه كل ما حوله، فلم تعد قيم الدين والأخلاق والوطن والغير تعني له شيئا. بل لقد عمى ولم يعد يرى إلا نفسه.

الخلاصة

وإلى هنا ندرك أن أزمة إنسان المدينة عامة والشباب منه خاصة، ليست أزمة خبز وسكن وشغل فحسب، ولا يمكن إطلاقا اختزالها في هذه المطالب المادية الحيوانية الضيقة التافهة التي تقول بها المدارس والمذاهب المادية الحسية في الغرب ذات المشارب اليهودية، والتي اختزلت الإنسان إلى مجرد حيوان هم العلف والسفاد ولا مطلب له في الحياة غير ذلك. صحيح أن هذه المطالب المادية لها نصيب في حياة الإنسان، لكن اختزال أسباب مشاكل المدينة الجزائرية فيها يعد نظرة ذاتية سطحية تبسيطية. مثل ذلك كمثل من يختزل تشخيص مرض الكوليرا في الحمى التي تصيب المريض، لكن بينما العوز المادي للفرد والجماعة في المجتمع يشكل سببا حقيقيا لردود فعله، فإن ضرب هويته وأصاليته نفسيهما في دينه ولغته وإنتمائيه وولائه لوطنه يعد سبب الأسباب كلها، وأن اختزال أسباب ردود الأفعال لإنسان المدينة إلى مجرد أسباب مادية لحاجاته اليومية من مأكلا ومشرب ومسكن، هو اختزال للإنسان ذاته إلى مجرد حيوان، حيوان يعيش ليعلف. ومثل هذه التعليقات التبسيطية، هي من جهة إهانة للإنسان عامة، وللإنسان الجزائري خاصة، وإنسان المدينة بالأخص، وهي من جهة أخرى محاولة لتحويل الأنظار عن الأزمة (أزمة الهوية) الحقيقية العميقة التي يعيش الإنسان الجزائري مأساتها منذ دخول الاستعمار سنة 1830، والتي ازدادت حدة ورسوخا بعد الاستقلال نتيجة السياسات المتهورة المنتهجة على جميع الأصعدة.

القراءات المرجعية

1. دور إعادة الإدماج في ضبط سلوك الحدث، (دراسة ميدانية على مستوى مؤسسة إعادة الإدماج لمدينتي قسنطينة وعين مليلة) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية للطالبة: بن عريبة سليمة، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة (2)، 2013، إشراف الدكتور: بولزاد السعيد.

2. التسامح: مجلة فصلية، العدد 19، صيف 2007، مسقط، عمان
3. محمد السيد الجليلند، الأصولية والحوار مع الآخر، دار قباء، القاهرة، 1999
4. فريال حسن خليفة، فلسفة التحرير: مشروع الذات المقهورة، مكتبة مديولي، القاهرة، 2006
5. راشد المبارك، التطرف، دار القلم، دمشق، 2006
6. علي بن يحيى الحدادي، الغلو ومظاهره في الحياة المعاصرة، مجالس الهدى، الجزائر، 2008
7. ربيع المدخلي، التعصب الذميم، دار المنهج، القاهرة، 2004
8. جعفر الياسين، أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث، عالم المعرفة، بيروت، 1981
9. أسحق منصور، موجز في علم الإجرام وعلم العقاب (ط.2)، د.م.ج، الجزائر، 1991
10. عبد الحميد منزري، الإنسان والعقوبة في الإسلام، دار البعث، قسنطينة، 1985
11. جان شازال، الطفولة الجانحة، (ت.) أنطوان عبده، منشورات عويدات، بيروت (د.ت.)
12. ر. بودون / ف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، (ت.) سليم حداد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986
13. محمد الجوهري / عليا شكري، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعارف، القاهرة، 1980
14. عاطف عيث، علم الاجتماع الحضري: مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987
- 15- F.A whitlock, Death on the road : study in social violence, Tavistock Publication, London, 1971
- 16- L. Radzinowicz & J. king, Penguin Books, The Growth of crime, England, 1979
- 17- S R.A. Farrell & V.L. Swigert, social deviance (2nd ed.), J.B., Lippincott Company, New York, 1978
- 18- I. Taylor, P. Walton & J. young, The New Criminology: for a social theory of deviance, Routledge & Kegan Paul, London, 1977
- 19- G.Thines & A. Lempereur, Dictionnaire general des sciences humaines, éditions universitaires, Paris, 1975
- 20- H.F. Reading, A Dictionary if the social sciences, routledge & Kegan Paul, London, 1978
- 21- A.D. King, Colonial urban development, Routledge & Kegan Paul, London, 1976
- 22- The city in newly Developing countries (ed.) G.Breese, Prentice-Hall, New Jersey, 1969
- 23- Reading in Urban sociology, (ed.) R.E. Pahl, Pergamon Press, Oxford, 1969
- 24- J.M. Simmie, Citezens in Conflict: The Sociology of town Planning, Hutchinson, London, 1978
- 25- Towns in Societie, (ed.) Ph. Abrams & E.A. Wrigley, Cambridge, 1979
- 26- Social Aspects of urban Development (ed.) G.M. Lomas, The National Council of Social service, London, 1966
- 27- Urban sociologie, (ed.) C.E. Pickvance, Tavistock Publications, London, 1977
- 28- Thomas Hobbes, Leviathan, Penguin Books, middlesex, England, 1980.